على هامش الحرب

# الطابور الخامس فى القرآن (*)

للأستاذ عبد الرزاق ابراهيم حميدة

— ٢ —

## أهل الكتاب

أعمالهم فى السلم : التشكيك فى الدين ، محاولة فتنة المؤمنين ، تحريف كتابهم إذا كان فيه ما ينفع المؤمنين ، محاولة التفريق بين الأوس والخزرج

قدمنا فى المقال السابق كيف اضطر الرسول الكريم إلى الهجرة من مكة إلى المدينة ، وكيف يسر الله له أسباب هذه الهجرة الشريفة بدخول كثير من أهل المدينة ، وبخاصة أشرافها ، فى دين الله ، فكانوا عزاً للاسلام ، ولمن هاجر إليهم من مسلمى مكة ، وعندهم استراح المسلمون المهاجرون من أذى قريش ، وتهيأت لهم الفرصة فى يثرب ليقتصوا من الذين أخرجوهم من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله . واستمر النضال بين المسلمين ومن تخلف عن الدين الجديد إلى أن ظهر الإسلام فى جزيرة العرب على الدين كله

ولكن انتصار المسلمين على قريش خاصة وعلى بقية المشركين عامة ، لم يكن أمراً سهلاً ؛ فقد كان العدو الخارجى قوياً ، وكانت جماعة الطابور الخامس فى المدينة وما حولها خطراً شديداً ، إذ كانت تخفى عداوتها وتبدى مودتها وتتربص بالمؤمنين الدوائر وتعين عليهم إن سرا وإن جهرا كل من يغير على المدينة أو يريد بالإسلام سوءاً

ولما كان عدد المسلمين كثيراً بالمدينة ، وكان النبى الكريم أكبر عامل فى حياة يثرب ، وله الرأى الأعلى فى إدارتها وحربها وسلمها ونظامها الاجتماعى والاقتصادى والسياسى ، كان لا بد من استخفاء جماعة الطابور الخامس فى المدينة ، وكان لا بد لها من إظهار الإسلام ، أو الارتباط بالرسول بعهود وثيقة أن تنصره وتشد أزره ولا تعين عليه منيراً ، حتى تسنح الفرصة لإظهار الكفر أو لنقض العهد ، وحينئذ تسارع هذه الجماعة فى الكفر وتخلف النبى ما وعدته

وأهم طوائف هذه الجماعة — جماعة الطابور الخامس — هم أهل الكتاب والمنافقون من أهل المدينة وممن حولها من الأعراب ، ويكاد اليهود يكونون هم وحدهم دعامة الطابور الخامس من أهل الكتاب ، ولنبدأ بحديثهم :

## اليهود

كان اليهود فى بدء الإسلام ينزلون بالمدينة وما حولها ، وكانت لهم سيطرة ونفوذ فى المدينة قبل الإسلام ، وبخاصة من الناحية الروحية ، وكانوا يتلون كتابهم ويرون فيه أن رسولاً من غيرهم قرب ظهوره . وكانت صفاته عندهم تدل على أن « النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم » هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، العربى القرشى ، الذى ظهر بمكة وأخرجه قومه منها ، وهاجر إلى المدينة ؛ « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين » . وكان الذى دفعهم إلى الكفر به هو حسدهم له وغيرتهم من أن يكون خاتم الرسل رجلاً من غير اليهود ، فقال الله فيهم : « بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ، فباءوا بغضب على غضب ، وللكافرين عذاب مهين »

## موقف اليهود من الرسول فى السلم

كانت لليهود مواقف بعد الهجرة لا تمت إلى الشرف بسبب سواء ذلك فى السلم أو الحرب ، والذى يعنينا اليوم هو موقفهم فى السلم ، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم آخى بين المهاجرين

(*) طلب منى الدكتور الفاضل زكى مبارك أن أختار لفظاً عربياً لهذه الكلمة ، وأخبرنى أن أهل الفرق يستعملون « الرتل الخامس » فأخبرته أن أصح كلمة فى نظرى هى « الصف الخامس » فوافق عليها . غير أنى آثرت العنوان السابق لشيوعه وكثرة استعماله ، ولا مانع عندى من استعمال اللفظة الثانية لأنها تجرى الآن مجرى الأعلام .

والأنصار بعد وصوله إلى المدينة وأذهب الله به ما كان بين الأوس والخزرج من عداوة ، وكان من أول ما عمله أن عاهد اليهود على أن يعيش وإياهم فى أمن لا ينصر أحدهم عدواً على الآخر ، ومن عهده لهم : « وإن من تبعنا من يهود فله النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم » ولكن الحوادث التى سنقدمها تدل على أنهم لم يوفوا بعهدهم ، بل أخذوا يحاربون الرسول الذى أقرهم على دينهم وأموالهم ، وأخذوا يحاربون دينه بوسائل شتى

ومن تلك الوسائل التى اتبعوها طريقة التشكيك فى الدين ، وذلك أنهم كانوا يؤمنون حتى يطمئن إليهم المسلمون ثم يرتدون كفاراً ، كى يظن المسلمون بدين الرسول ظنونا ، ويقولوا ما كفر هؤلاء وهم على بينة من أمر الأديان إلا لعلة . ففضح الله هذه اللعبة الخطرة إذ يقول : « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون »

وكانوا « إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا » عاتبين على من يخبر المؤمنين منهم بصفات الرسول فى التوراة : « أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم ؟ أفلا تعقلون ؟ »

وكانوا يرسلون طائفة منهم إلى الرسول بعد أن يسمعوا أحكام التوراة محرفة ، ويوصون تلك الطائفة ألا تقبل من التعاليم والأحكام إلا ما يوافق أهواء مرسليهم سواء وافقت الحق أو خالفته

وكانوا يتحاكمون إليه ، لا رغبة فى حكومته العادلة ، ولكن رجاء أن يحابيهم فيحكم بما يوافق هواهم ، ثم ينقلبون عليه ، ويشيعون عنه السوء من أجل هذه الحكومة : روى أن شريفاً زنى بشريفة بخيبر ، وهما محصنان ، وحدُّهما الرجم فى التوراة . فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطاً منهم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وقالوا لهم : إن أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا ، وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا . فأمرهم بالرجم ، فأبوا أن يأخذوا به ، فنزل قوله تعالى : « ومن الذين هادوا سماعون للكذب ، سماعون لقوم آخرين لم يأتوك ، يحرفون الكلم من بعد مواضعه ، يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه ، وإن لم تؤتوه فاحذروا » وأمر الله نبيه الكريم أن يحكم بينهم بالقسط أو يعرض عنهم ، وبين له أنهم إنما احتكموا إليه هرباً من حكم كتابهم ، فقال له : « وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ؟ ثم يتولون من بعد ذلك ، وما أولئك بالمؤمنين » ثم حذره أمرهم فقال : « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك »

وكان علمهم بدين موسى سبباً فى مغالطات منطقية سخيفة يريدون بها أن يبطلوا دين محمد ، وأن يصرفوا العرب عنه ؛ فمحمد يقول لقومه عن الإسلام : « ملة أبيكم إبراهيم » وهم يقولون إن إبراهيم كان يهودياً ، وهو أبو العرب فواجب على أتباع محمد أن يتبعوا اليهودية التى هى دين إبراهيم ، لا أن يتبعوا الإسلام ، فنفى الله وسمهم لإبراهيم باليهودية فى قوله : « ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ، ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين » ثم وبخهم على هذه المغالطة بقوله : « يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده ، أفلا تعقلون ؟ »

وبلغت بهم الجراءة أنهم أرادوا تهويد جماعة من كبار الصحابة منهم حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر ومعاذ بن جبل ، ولكن الله عصمهم ، وفى ذلك يقول الله تعالى : « ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون »

وكان فى التوراة آيات تدل على صفات محمد وفضله ، وكان فيها أحكام توافق القرآن ولا توافق هواهم ، فعمدوا إلى تحريفها ليبطلوا حجة المسلمين وبرهانهم على رسالة محمد من هذه الناحية ، وكان على رأس هذه الطائفة المحرفة كعب بن الأشرف ، ومالك ابن الصيف ، وحُيَيُّ بن أخطب ، وهم الذين قال الله فيهم : وإن منهم لفريقاً يلوُون ألسنتهم بالكتاب ، لتحسبوه من الكتاب ، وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله ، وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون »

وكانوا يحاولون التفريق بين الأنصار من الأوس والخزرج

بتذكيرهم بحروب الجاهلية ، والعداوة التى كانت بين القبيلتين ومحاها الإسلام : قيل مرّ شاس بن قيس اليهودى على نفر من الأوس والخزرج فى مجلس لهم يتحدثون ، فغاظه تحدثهم وتألفهم ، فأمر شاباً من اليهود أن يذكرهم يوم بعاث لعلهم يغضبون ، وكان يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج ، وكان الظفر فيه للأوس ، ففعل الشاب ما أمر به ، فتنازع القوم عند ذلك ، وقالوا : السلاح السلاح . فبلغ النبى عليه السلام ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين والأنصار ، فقال : أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وألف بينكم ؟ فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان ، فألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضاً باكين . فنزل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ؟ ومن يعتصم بالله فقد هُدِىَ إلى صراط مستقيم ، يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تُقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء ، فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخواناً »

تلك خلاصة أعمالهم فى السلم وتتجلى فى أنهم كانوا يريدون فتنة المسلمين عن دينهم بطريق التشكيك أو المغالطة أو التحريف ، وكانوا يودون التفريق بين المؤمنين بإثارة أحقاد الجاهلية ، فكان الله لهم بالمرصاد يكشف حيلهم ، ويفضح أسرارهم ، وينهى عن مودتهم ، ويبين مبلغ عداوتهم ، فقال فيهم : لتجدنّ أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا . وقال تهديداً لهم : « يأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت ، وكان أمر الله مفعولاً »

أما مواقفهم فى الحرب ، ومحاولتهم هدم الإسلام بالسيف والقتل فهو موضوع الحديث التالى إن شاء الله

( القاهرة ) عبد الرزاق ابراهيم حميدة

نجوى !

# فى غدير السُّكون . . .

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

تَعَالَىْ نَذُبْ فى غَدِيرِ السُّكونِ — وَنَحْرِقْ أسانا عَلَى ضِفَّتِهْ
تَعَالَىْ نَكُنْ صَمْتَةً فى دُجاهُ — وَذِكْرَى هَدِيرٍ على مَوْجَتِه
تَعَالَىْ نَسِرْ فى جِنازِ الغُروبِ — شُعاعاتِ ثُكْلٍ على صَفْحَتِه
تَعَالَىْ . . . فإنا بَقَايا لهيبٍ — حَشا الدَّهْرِ يَفْزَعُ مِنْ وَقْدَتِه
فما نَبْتَغى مِنْ رَمادِ الزَّمانِ ؟ — ومِنْ لَغَطِ النَّاسِ فى ضَجَّتِه ؟
حَضِيضٌ حَياةُ الوَرَى كُلُّها — وإنْهُمْ يَهِيمُونَ فى لَوْثَتِه
فَطِيرِى بِنا عَنْ سَماواتِهِم — إلَى أُفُقٍ هِمْتُ فى عُزْلَتِه
بَرِيءِ الحَوَاشِى كَقَلْبِ النُّجُوم — وكالمَلَكِ الطِّفْلِ فِى غَفْوَتِه
عَفِيفُ الخَيالِ كأنّى بِهِ — تَهادَيْتِ وَالفَجْرَ فِى رَبْوَتِه
تَعَالَىْ فَإنِّى سَئِمْتُ الحَياةَ — وَعِفْتُ الشَّبابَ عَلَى نَضْرَتِه
تُطِلُّ بِعُشّى نُجومُ السَّماءِ — جِراحًا تُوَلْوِلُ فى ظُلْمَتِه
وَيُلْقِى حَوَالَيْهِ لَيْلُ الوُجودِ — خُطًا مَارِدٍ لَجَّ فِى ثَوْرَتِه
وَقَلْبِى بِهِ وَتَرٌ أشْعَلَتْ — خَيالَ السُّكُونِ رُؤَى نَغْمَتِه
تَعَالَىْ نَغِبْ فِى تَهاوِيلِهِ — وَنَفْنَى مَعَ الصَّمْتِ فِى نَشْوَتِه

محمود حسن اسماعيل
مراقبة الثقافة — بالمعارف